

البحث العلمى

إعداد

سامر بنون

مقدمة

إنّ البحث العلمي ليس مجرد ممارسة تقنية أو مجموعة خطوات منهجية متتابعة، بل هو بنية معرفية وفكرية متكاملة تتأسس على إدراك عميق لطبيعة المعرفة وحدودها ومناهج إنتاجها، فحين ينخرط الباحث في مسار البحث، لا يكون بصدد استيفاء متطلبات أكاديمية فحسب، بل يتفاعل مع أسئلة جوهرية تتعلق بالوجود والمعرفة والقيم.

إن فهم البحث العلمي يبدأ من النظر إليه كمشروع إنساني يسعى إلى تحويل الواقع الملتبس إلى معرفة منظمة قابلة للفحص والنقد، وتتعدد تعريفاته بتعدد المدارس المعرفية والمقاصد العلمية، كما تتنوع دوافع الباحثين لإجرائه، وفق خلفياتهم الأكاديمية، وانشغالاتهم الفكرية، وسياقاتهم المؤسسية..



أولاً: تعريفات البحث العلمي

نعرض ستة تعريفات متنوعة، تعكس زوايا مختلفة لفهم جوهر البحث:

1. البحث العلمي كنظام فكري للتقصّي والتحقق

يُنظر إلى البحث العلمي بوصفه نشاطاً معرفياً عقلانياً يهدف إلى الوصول إلى الحقيقة عبر أدوات منهجية تتسم بالصرامة والاتساق، ويُشير هذا التصور إلى أن البحث يتجاوز كونه تقنية، ليغدو أسلوباً في التفكير، ومنهجاً في إدراك العالم.

2. البحث العلمي كأداة لتوليد المعرفة القابلة للتحقق

يرتكز هذا التعريف على المبدأ الأساسي للعلم، وهو قابلية النتائج للفحص والتكرار، فالمعرفة العلمية ليست مطلقة، بل مشروطة بمنهجيتها، ويمكن إخضاعها للتفنيد والتطوير، وهو ما يضيف عليها طابعاً تراكمياً.

أولاً: تعريفات البحث العلمي

3. البحث كأفق للتفاعل بين الفرضية والتجربة

يُعدّ البحث جسراً بين التصورات النظرية والواقع التجريبي، حيث يتم الانتقال من سؤال ذهني إلى نتائج قابلة للقياس، وهذا التفاعل بين المجرد والمحسوس يمثل جوهر العمل البحثي في العلوم الطبيعية والاجتماعية معاً.

4. البحث كإجراء منهجي لحل الإشكاليات المعرفية أو التطبيقية

يأخذ البحث دوراً وظيفياً، إذ يُستخدم كأداة منهجية لتحليل المشكلات وتقديم حلول قابلة للتنفيذ، سواء في مجالات الصحة أو الاقتصاد أو الإدارة أو البيئة.

5. البحث كبنية متكاملة لصياغة وتطوير النظرية

يرى بعض الباحثين أن البحث هو فضاء لإنتاج النظرية أو تطويرها أو اختبارها. وبهذا المعنى، لا يُعدّ البحث مجرد وسيلة لجمع البيانات، بل هو عملية لتأسيس البنية التفسيرية للواقع.

انطلاقاً من المناهج النقدية وما بعد الحداثية، يُنظر إلى البحث كفعل مقاومة معرفية، إذ يُستخدم لتفكيك الخطابات

السائدة وإعادة مساءلة ما يُقدّم كـ "مسلمات".

ثانيًا: دوافع الباحثين لإجراء البحوث

لا تنبع ممارسة البحث العلمي من دافع واحد، بل هي حصيلة تفاعل معقد بين الحوافز الذاتية والضغط المؤسسية، والالتزامات الفكرية والاجتماعية. وفيما يلي تحليل لسبعة دوافع رئيسية:

1. الدافع المعرفي – الفضول والتساؤل الفلسفي

يُعدّ هذا الدافع أرق أشكال الدوافع، حيث ينطلق الباحث من حاجة داخلية لفهم العالم، وتفكيك الظواهر، واستكشاف العلاقات الخفية بينها، وهو ما يميز "الباحث الحقيقي" عن "جامع البيانات".

2. الدافع التطبيقي – الاستجابة للمشكلات الواقعية

يتجه الباحثون في التخصصات التطبيقية إلى البحث مدفوعين بحاجة المجتمع أو المؤسسة إلى حلول علمية لقضايا معقدة، مثل سوء التخطيط، أو ضعف الخدمات، أو التحديات البيئية، ويُعطي هذا الدافع للبحث بعدًا وظيفيًا مرتبطًا بالأثر الاجتماعي المباشر...

ثانيًا: دوافع الباحثين لإجراء البحوث

3. الدافع الأكاديمي – متطلبات التقدم والترقية

في بيئات التعليم العالي، يُمارس البحث بوصفه أحد متطلبات الحصول على الدرجات العلمية أو الترقية الوظيفية. وعلى الرغم من أن هذا الدافع مؤسسي، إلا أنه لا يُنقص من قيمة البحث متى ما اقترن بضمير علمي ورؤية معرفية أصيلة.

4. الدافع النقدي – مساءلة الواقع والأنساق المعرفية

بعض الباحثين يتخذون من البحث منبرًا لمساءلة البنى المعرفية السائدة، ونقد الخطابات المسيطرة، سواء في السياسة أو التعليم أو الدين، ويُحيل هذا الدافع إلى البُعد التحرري في المعرفة، حيث يصبح الباحث جزءًا من مشروع التغيير لا الاكتفاء بالوصف.



ثانيًا: دوافع الباحثين لإجراء البحوث

5. الدافع المؤسسي – دعم اتخاذ القرار

في القطاعات الحكومية والخاصة، يُستثمر البحث كأداة استراتيجية لدعم القرار، وتوجيه السياسات، وتخطيط الموارد، مما يجعل من البحث العلمي أحد أركان الحوكمة الرشيدة.

6. الدافع المهني – بناء مكانة وخبرة تخصصية

يطمح العديد من الباحثين إلى أن يصبحوا مرجعًا في مجالهم، سواء من خلال النشر العلمي أو التدريب أو الاستشارات، وهو ما يدفعهم لتكثيف الإنتاج البحثي ضمن مسار احترافي منضبط.

7. الدافع الوجودي – البحث كتحقق ذاتي

يتحوّل البحث إلى مشروع شخصي تتجسد فيه هوية الباحث وتطلعاته، فيبحث الإنسان ليصوغ ذاته، ويكتب ليبرر وجوده، ويُنقّب في المعارف لأنه يؤمن أن الحياة بلا أسئلة تُطرح ولا أجوبة تُختبر، تصبح رتيبة وفارغة.



مجموعة جامعة
الجميع الذكية
للتعليم القابضة

MIDOCEAN
UNIVERSITY



Thank You

